



فاعلية الرمز في شعر بُلند الحيدري دراسة وصفية تحليلية

رافد جايد خضير / ماجستير في اللغة العربية
وزارة التربية العراقية / المديرية العامة لتربية ذي قار

آذار 1443 هـ / 2022 م

السنة: السابعة عشرة

العدد: 40



DOI: <https://doi.org/10.36324/fqhj.v1i40-41.9384>



Journal of Jurisprudence Faculty by University of Kufa is licensed under a [Creative Commons Attribution 4.0 International License](https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).
مجلة كلية الفقه - جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي 4,0 الدولي

المَخَص

منذ الازل لكل شيء في هذا الكون رمزا (للمس، للقمر، للبيد، للأوثان، للصديق، للعدو... الخ)، جعل الانسان لكل ذلك رمزا، فما أن يحب الانسان ويعشق حتى جعل لمن يحب رمزا فيهم به، وما أن بنى مسكناً أو مدينةً الا وجعل له رمزا، يقاتل فيجعل لقتاله رمزا بطلاً يريد أن يصل لعلبائه، حتى قسوة الصحراء جعل لقساوتها رمزا رمز الصبر والتحمل، بل حتى رمز للجمال والروعة وليلها الحالكة الظلمة رمزاً يترنم به وأن قلت في تلك البيئة مظاهر للجمال والروعة، وفي بحر متلاطم الامواج بخطرورها ورعب صوتها وصورتها يجعل لذلك رمزا للظلم والعدوان ومقاومته بشتى الوسائل باللسان، والشعر، والسيف، بيراع يكتب رمزا ولا يجف يظل للإنسان رمزا؛ فلا غرو أن هذا المفهوم يدخل مجال الشعر؛ فمع الحياة سارت القصيدة، وفيها نمت وتأطرت، بل أروضتها الوفاء لمعطيائها وقوانينها حتى صارت مرآتها الصادقة، يتطلع فيها الرائي والغادي ما جال في صراع الزمان والمكان.

Summary

From time immemorial everything in this universe has a symbol (for the sun, for the moon, for the hand, for femininity, for the friend, for the enemy ... etc.), human being makes symbols for all of these . As soon as a person loves and adores, he makes for a symbols someone who loves , in which he will be longing for , and as soon as he builds a dwelling or a city but makes a symbol for that, he fights and makes symbol for a hero ,a hero who wants to reach his highness, even the cruelty of the desert has made for its cruelty a symbol of patience and endurance, Indeed, even a symbol of beauty and splendor, and its darkest night darkness is a symbol that resonates with it. In that environment, there are manifestations of beauty and splendor, and in a sea of waves with gravity and horror of its voice and its image, this makes a symbol of injustice and aggression and its resistance by all means through the tongue, hair, and sword. In his hand he writes a symbol that does not dry out. A person remains a symbol. It is not surprising that this concept enters the field of poetry. With life the poem went, and it grew and framed, but rather breastfed it in fulfillment of its data and laws until it became its true mirror, in which the human being looked forward to what went on in the struggle of time and space

المقدمة

قد حضر الرمز في نص بلند الحيدري مزودا بآليات صيرته نحو الإطلاق والمفهمة حتى انمازت نصوصه به وتميزت لديه عن سواه منحها هوية جيدة ومنحته هي جواز سفره نحو الشعرية وبعد هذا الانصهار بها لم يستطيع الانعتاق من محددات رموزه فكان يصنع ذاته في النص عبر ذات أخرى وكأنها سرّ وجوده الابداعي الذي لولاه لصار إلى العدم. إنَّ البحث في النصوص الشعرية عند بلند الحيدري سوف يكشف أثر فاعلية الرمز في تحقيق مزيد من حيوية النصّ الشعري، وتوسعة للمعنى، وشعرنة الحوادث سواء أكانت الرموز دينية، أو اسطورية، أو تاريخية... الخ، ومن ثم جذب المتلقي إلى ساحة الصورة الشعرية حتى يكاد يعيش فيها، ويقف فيها وليس منها، وذلك بسبب ما تقدمه تلك الصور من لغة تمزج بين الشعر والرمز.

أمّا منهج البحث، فقد سلك البحث منهجاً وصفيّاً، وهدفه تحليل النصوص الشعرية عند بلند الحيدري؛ لبيان فاعلية الرمز التي فيها يبرز دوره بشكل أوضح عندما غابَ في نصه وتماهى مع الرمز إلى درجة الذوبان.

الرمز واللغة الشعرية:

يمتلك الرمز طاقة استيعابيه قد جذبت المبدعين عموماً، والشعراء خصوصاً، والرمز "هو الإيحاء الذي يخفي معنى مفتوحاً وعصياً على التحديد"⁽¹⁾ هذا الإيحاء قد يزيد من المعاني الفكرية المعرفية التي تخترق المعاني الثابتة، ولا غرو أن الرمز "ليس خاصة العقل المجرد بل خاصة الطريقة الحدسية الحسية في إدراك الأشياء"⁽²⁾ وهو "إشارة أو تعبير عن شئ آخر"⁽³⁾ فكثيراً ما يخترق الرمز عن ما هو مسكوت، ومخبوء في طيات النفس الانسانية لأنّ "الرمز ليس محاكاة للواقع الجامد، بل هو استكناه له، وتحطيم لعلاقات الطبيعة، ومن هنا كانت حركية الرمز وحيويته وإيحاؤه"⁽⁴⁾ وفي هذا العالم المتسارع والمتغير لم تعد الكلمة الجاهزة الخالية من الرمز تناسب الواقع؛ فالرمز أصبح حاجة ملحة يلجأ اليه الانسان لأتته "هو تحدّد دائم لأفكارنا وأحاسيسنا. وقد يفسر ذلك سرّ التحفيز والإشارة التي يتمنّع بها أي عمل رمزي"⁽⁵⁾. إنّ الرمز قد اعطى اللغة قوة وكثافة تعبيريه بلحاظ أنّ "اللغة في كل ميادينها رموز لأفكار، أي حاجة وأقيسة للوصول إلى نتائج من نوع ما"⁽⁶⁾ و"اللغة التي يزخمها الرمز تنقل صاحبها من محدودية واقعه، ومن ذاتية تجربته وعينيته إلى رحاب الكون وشمولية التجربة الإنسانية وعالميتها بل كونيتها"⁽⁷⁾؛ قوة قد اعطت اللغة انفتاحاً جمالياً بخلق أفكار متعددة تتجاوز المؤلف (فاللغة ليست مجرد نمط للاتصال، وإنما هي أيضاً التجلي الصريح لنمط الفكر، وهو نمط غير مؤلف، أي التعبير الرمزي، إذ بدون الرمز لا يمكن تصور العالم، والفكر الرمزي لا يتوفر كشيء مدمج فطرياً في الانسان، بل يتطور عن طريق استدخال العملية الرمزية التي تشكل أساساً للغة)⁽⁸⁾

ولهذا المفهوم الواسع يمكن القول أنّ (لغة الرمز، هي اللغة التي تنطق عن الخيرات والمشاعر والافكار الباطنة، كما تنطق لغتنا المحكية عن خبرات الواقع. مع فارق هام، يكمن في شمولية لغة الرمز وعالميتها، وتجاوزها لفوارق الزمن والثقافة ... الخ، وما علينا إلا أن نفهم مفردات تلك اللغة، لينفتح أمامنا عالم مليء بمعارف غنية ثره)⁽⁹⁾. يبدو من الملامح العامة للرمز بأنه يمتلك فاعلية وحركية تتناسب مع طبيعة الفكر الانساني، فطبيعة الانسان انه لا يهدأ له بال الا ان يعبر ويفصح عما تكمنه نفسه فباختراع "الرمز ولدت هوية الفرادة لتجنى عبقرية التعارف به وعليه، واخترع منقوص حقيقية وفي نقصه جماله وألمه يعكس غموضاً لذيذاً ومرا ويحكي حال مصطلحه الذي لازال يستكشف ذاته بالتأمل والتجريب"⁽¹⁰⁾ مفاهيم اعطت الرمز ابعاداً فكريّة فلسفيّة لم يغفل عنها الشعراء بإدخال هذا المفهوم في نصوصهم الشعرية؛ فالشعراء يميلون لكلّ معرفة تنسجم مع افكارهم ومشاعرهم المرهفة؛ فتوغل الرمز في شريان اللغة حتى وصل حد التماهي وهذا المعنى اتضح جلياً في النص الشعري العربي الحديث فحين "لا ينفك الرمز بعيداً عن تخوم القصيدة، بعيداً عن نصها المباشر، لا يكون رمزاً"⁽¹¹⁾؛ وهي نقطة جوهرية تعمق المعنى الشعري من محدودية الرؤية إلى اللامحدودية التي تنفتح على العالم؛ فالرمز هو، قبل كل شيء، معنى خفي وإيحاء. إنه اللغة التي تبدأ حين تنتهي لغة القصيدة أو هو القصيدة التي تتكون في وعيك بعد قراءة القصيدة. إنه البرق الذي يتيح للوعي أن يستشف عالماً لا حدود له، لذلك هو إضاءة للوجود المعتم واندفاع صوب الجوهر"⁽¹²⁾، ويمكن أن تتجسد هذه المعاني في النص الشعري الحديث. إنّ "اللغة الشعرية لغة إيحائية تحفل كثيراً بالكلمات الثرية ذات الدلالات المتنوعة، ليست لأنها كلمات خاصة تصلح لأن تكون شعرية،

فليس ثمة كلمات شعرية وأخرى غير شعرية في طبيعتها المعجمية، وإنما تكتسب هذه الصفة من خلال استخدام المبدع لها استخداماً خاصاً يضيف عليها جمالاً ويسمها بالشعرية⁽¹³⁾، التي تعدّ نقطة التقاء عند الشعراء نحو الشعرية، وتبدو هذه العلائق ما بين الرمز واللغة الشعرية علاقة تضفي الجمال للنصوص الشعرية الحديثة التي تفتح الباب أمام القارئ؛ ليغوص في دلالة فاعلية الرمز.

شاعرية بُلند الحيدري:

هو رائدٌ من رواد الشعر العراقي الحديث (ولد في بغداد عام 1926 بدأ نظم الشعر باللغة الكردية وعمره (11 سنة)، عمل أواسط الأربعينيات في الصحافة، ثم دخل السلك الوظيفي حتى عام 1962، وانتقل إلى بيروت اذ عمل في التدريس هناك، اُضيف إلى قيامه برئاسة التحرير مجلة العلوم البيروتية، ثم تفرغ لرئاسة القسم الأدبي لمجلة بيروت المساء حتى 1975 عندما توقفت بسبب الأحداث الدامية في لبنان، وعندها عمل مستشاراً للمركز الثقافي العراقي في بيروت حتى عودته لبغداد عام 1976، واخيراً شد الرحال إلى لندن حتى وفاته (1996)⁽¹⁴⁾. الحيدري يمتلك من المقومات الإبداعية التي وظفها في نصه الشعري فكان "شاعراً مجدداً مبدعاً في سلاسة شعره والصور التي كان يجيدها، وهو يكتب القصيدة بأسلوب ساحر ولغة جميلة، أسهم في تطويرها وتجديدها"⁽¹⁵⁾ اُضيف إلى ذلك ان الحيدري " شاعر مبدع في أساليبه الجديدة التي حققها وفي طريقته التي لا يقف فيها معه إلا شعراء قلائل من العراق"⁽¹⁶⁾؛ فينطلق من الواقع حتى يصل إلى درجة

التماهي؛ لينتج رؤيا انسانية ممزوجة بفلسفته الشعرية التي تلامس الحياة لأنه يعتمد "على الهجس والإيحاء ويعبر بالصور ويهتم بالحادثة الداخلية وخلق التوتر النفسي حولها، والتعبير عنها بشكل حدسي، وتوزيعها على أزمان مختلفة لخلق العمق في الصورة"⁽¹⁷⁾، وقارئ شعر الحيدري يلحظ الرموز المتعددة التي تلامس الوجدانه الانساني؛ فهو ابن بيئة قد سادها كثير من المتغيرات الحياتية التي انعكست عليه نفسياً وفكرياً، فهو يرصد "التحولات، لا عن بعدٍ كمحايد، بل من داخلها. وكأنه هو فيها يتغير ويتبدل، بل وكأنه هو الذي يتدرج في الأشياء والساعات والناس.. ويتأكل فيها"⁽¹⁸⁾، ومما يجب الإشارة إليه "أن الشاعرية حس لغوي عالٍ كثيف الأعماق، ولذلك لا يستطيع الشاعر أن يبدع في لغة لا يحسها تماماً، وإنما الحس الذي نتحدث عنه، استخراج المعاني الدفينة في الكلمات والحروف، وهي شحنات اختزلها التاريخ والقديم في اللغة بحيث لا يتبينها الفرد العادي وإنما يدركها الشاعر"⁽¹⁹⁾، والشاعر كثير ما يعتمد على موهبته الشعرية التي تعطيه مرونة وحركية بأن يوظف اللغة الشعرية بصور جمالية ابداعية تلامس الواقع الانساني؛ "فالشاعرية وليدة صراعات النفس المرهفة وتفاعلاتها مع الأحداث الداخلية والخارجية لحياة الانسان، ويظل تدفق واستمرار هذه الشاعرية ما دامت ظروف الحياة تتصادم وشفافية المشاعر واحساساتها"⁽²⁰⁾؛ والشاعر بطبيعته لا يحب القيد والقيود التي تفرض عليه سواء كانت (السياسية، الاجتماعية.. الخ)، فينفث من هذه القيود إلى عالمه الشعري مستعينا بملكته الشعرية لفك بعض الخفايا التي تملئ هذا العالم الفسيح، ومن خلال هذا يستشرق الزمن بمنهج ومسار قد تتبصر به الانسانية؛ ليصبح النص الشعري

مرايا عاكسه يرون وجوههم ومجتمعهم سواء أكانت تمثل التتابع مع شخصهم أو التناقض، لكنهم يغوصون في أعماق رموزهم، من أجل إنضاج أفكارهم، وتحقيق طموحاتهم. "إنَّ النصَّ الشعريَّ رمز، وعلاقات رمزية، وهو ليس "حقيقة" ولا "باطلاً"، وإنما هو "دلالة" و "احتمالات" تقدّم إمكاناتٍ جديدة للتساؤل"⁽²¹⁾. لقد امتاز النص الشعري الذي قدمه الحيدري بتلك المعاني الشعرية فزخرت نصوصه برموز وإيحاءات جعلت نصه الشعري بصمة في الشعر العربي الحديث.

التراث الديني:

التراث مفهوم متعارف ومتداول بين الناس وهو "ما خلفه السابقون من نتاج علمي وأدبي وفكري، ومن قيم وأعراف أقاموا عليها كيانهم، فأصبحت لهم سمات امتدت إلى اللاحقين"⁽²²⁾؛ فكل حضارة وامة لها من التراث الذي يمثل لهم امتدادهم الوجودي الذي يعتزون به "لأنه فكرها ومستودع حضارتها، وهو الذي يميزها ويطبّعها بطابع خاص"⁽²³⁾ ففي طيات التراث هنالك معايير انسانية تستحق ان يسلب الضوء عليها ف "هو نتاج تراكم كمي وكيفي لخبرات طويلة، تعود إلى بدء استقرار الإنسان على الأرض وارتباطه بها، وأن هذه الثقافة ناتج تفاعل جدلي داخل المجتمع"⁽²⁴⁾، ويعد التراث "عملية إثراء لوعي القارئ، واستنفار لاتخاذ موقف معين تجاه العالم والانسان"⁽²⁵⁾. يتعدد التراث إلى أنواع فهناك التراث الديني والأسطوري والتاريخي... الخ. اما بالنسبة إلى التراث الديني يكتسب رمزية واسعة في وجدان الضمير الانساني لما له علاقة لدرجة الذوبان في الروح، وهي النقطة



التي غاص بها الشعراء بوعي تام لما يمتلك من رمز وفاعلية تفتح النص الشعري الحديث بمعاني مزودة برؤيا قد تُكسر القيود امام الشاعر؛ فالشعراء تعاملوا مع التراث الديني ليس بمحاكاة أو قراءة تراثية بل ذهبوا إلى أبعد من ذلك انهم يشحنوا التراث بأفكار قد تنسجم مع روح العصر؛ فقد كان "التراث الديني في كل الصور ولدى كل الأمم مصدراً سخياً من مصادر الإلهام الشعري، حيث يستمد منه الشعراء نماذج وموضوعات وصوراً أدبية، والأدب العالمي حافل بالكثير من الأعمال الأدبية العظيمة التي محورها شخصية دينية أو موضوع ديني، أو التي تأثرت بشكل أو بآخر بالتراث الديني" (26)، وهذا الغنى الثقافي والفكري قد ترسخ في النص الشعري الحديث عموماً، وفي نص الحيدري خصوصاً عبر استظهار المواد الأولية التي ارتبطت بالرموز المستحضرة نصياً، فهو يصوغ النص المصاغ عن الرموز مسبقاً، ويذوب في نصه، ويسطرها نصياً يرسم ثقافةً انطبعت فيه خواصّه، وأسلوبه المتميز.

فاعلية الرمز الديني:

يقول الحيدري في قصيدته (جنّتم مع الفجر):

جنّتم مع الفجر

... وكانت هنا

مجزرة تنمو بلا عذر

وخلف باب السّجن

كانت منى

تعيش في وهن



وكانت للغدر

ألف يد تسرق من ذهني

ومن دمي الحرّ

شوق اللّيلي السّود للفجر

جنّتم مع الفجر

وكنا هنا

نقتل في صمت ولا ندري

أيصلب الإنسان؟

أتحرق النّيران،

بيوتنا؟

صغارنا

لأننا نحلم بالفجر؟ (27)

يبدأ النص (جنّتم مع الفجر) بترميذا مفتوح وصور متعددة قد تتجاوز المألوف، الرمز الاول القمع؛ احياءات، واشارات، وتكرار، واسترجاع في النص الشعري بفعل ماض واشارة مكانية (كانت هنا مجزرة) مستمرة بفعل النمو (تنمو بلا عذر)، وكذلك (خلف باب السجن، كانت مُنى) الافعال اللاإنسانية قد بانّت بشكل ملحوظ وما المجزرة، والسجن، والغدر، والسرقه الا شاهدا على رمز القمع، حالات نفسيّة تغلّغت في النفس حتى اشتكت من القمع الذي هيمن على الفكر بقوله (ومن دمي الحرّ) (شوق اللّيلي السّود للفجر)، صورة نفسيّة ترسم الوجد والهّم الانساني؛ فالشاعر خلق رموزاً، وصوراً وكلمات، مشحون بروح الواقع فأعطت النص فاعلية وحركية متسارعة، أن

مجلة كلية الفقه

"الكلمة تتخطى وضعيتها عندما تصير رمزا، وتكتف فضاء الصور، لكي يغدو النص شبكة متعاقبة من الشَّحْن الجديدة، أو من العلاقات الجديدة. انه النص- الرمز" (28)، يواصل النص بتكرار (جنتم مع الفجر) مردوفه بإشارة مكانية (هنا) واستمرار رمز القمع لكن هنا بفعل (القتل) دون كلام! فكّل شيء صامت ولا يعلمون ما هو سبب القتل؟ حتى يظهر الرمز الثاني الصلب (أصلب الانسان؟) الحيدري يحيل النص إلى التراث الديني المسيحي لشخصية السيد المسيح (ع) برمز الصلب الذي يبين الواقع الذي تعيش فيه الانسانية "ومعظم ملامح السيد المسيح في شعرنا المعاصر مستمدة من الموروث المسيحي، وخصوصاً "الصلب" و"الفداء" و"الحياة من خلال الموت" وثلاثتها ملامح مسيحية" (29)؛ فاعلية الرمز الشعري انبثقت من عمق المعاناة الانسانية وما الاستفهام الا دليلا واضحا لهول التيه التي تشعر بها النفس الانساني بمدلول (أتحرق النيران، بيوتنا؟ صغارنا، لأننا نلحم بالفجر....؟) كلّ شيء يتصل بالحياة والامل يجب ان يمحي من الوجود؟ لغة قد اعتاد عليها الآخر اللانسانى، استفهامات لازمت الرمز الذي يعمق صور الواقع الذي يسوده الظلام! ويستمر النص الشعري بفاعلية الرمز:

لكنكم جنتم

وكنا هنا

نسأل من أين ستأتي المنى

من أين ...؟

لن تأتي

لن تشرق الشمس



وفي بيتي
تغور في الموت
أقدام أطفالي بلا صوت
من أين؟..
لن تأتي
فسجننا أعمى بلا كُوءَ
ودربنا يوغل في الهوَّة
ونحن لا حول ولا قوة
لكنكم جنتم وكنا هنا
حكاية عن أمسنا المرِّ
وموكباً من السنَّا
في فجرنا الحرِّ

عدم التصريح المباشر قد عمق النص بامتداد واستمرار لفاعلية رمز (الصلب) وتكرار لغوي قد حافظ على سياق النص (لكنكم جنتم) ولكن يتغير أسلوب الخطاب (كنا هنا) لتأكيد على أن الانسانية قد اصابها العبث الممنهج بسؤال (من أين ستأتي المنى) السؤال الذي سيطرة على الذهن هو البحث عن الطرق التي تأتي منها الاماني؟ تتداخل الرموز والايحات في النص الشعري عبر صور نفسية يشوبها القلق والتوتر (لن تأتي) فإنه على علم وبقين (لن تشرق الشمس)، وكأنما الوجد وحده قد لازم وسكن هذا المكان؛ فلا شيء سوى الموت الذي خيم على النفوس (أقدام اطفال بلا صوت) الرموز ظلت

من صميم الواقع:

DOI: <https://doi.org/10.36324/fqh.v1i40-41.9384>



فسجننا أعمى بلا كُوء

ودربنا يوغل في الهوة

فاعلية الرمز الديني ظلت تصدح بمعانٍ وهموم انسانية لواقع سادته الجمود، الحيدري عمد إلى خطاب واستدراك للتأكيد على هذا المعنى بتوسيع المضامين الذي تعطي الرمز تماسكا للمعنى (لكنكم جنتم وكنا هنا)، (حكاية عن أمسنا المرّ)، (موكباً من السنّنا)، كلّها احياءات و اشارات تزيد من حيوية النص الشعري، وفي نهاية النص تظهر مركزية الرمز (الصلب) (في الفجر الحرّ) التضحية من اجل الانسانية بوجه قوة لا تفقهه شيء سوى لغة (القمع) و(الصلب) باعتقادهم أن هذه الأفعال تمكنهم من تغيب الانسان؛ فتحوّلت هذه الأفعال بالعكس السلبي ضدهم، عندما تحوّلت إلى رموز للإنسانية جمعاء (للفداء، والتضحية ... الخ) فخاب اعتقادهم!! يتعامل الحيدري مع التراث الديني ليعبّر عن رؤياه التي تتناسب مع روحه المرهفة بوعي تام بما تحمله هذه الرموز التراثية من ارث قد يغني نصه الشعري "أنّ مفهوم الرمز منحصراً في معنى الإخفاء والحجب لمعنى باطني غير ظاهر وراء معنى آخر مكين وجل وهو وطيّد بالسياق الذي يرد فيه وبالتالي لا يمكن تأويله إلا وفق ذلك السياق، فهو فاعل ومنفعل، يؤثّر في السياق ويتأثر به"⁽³⁰⁾ وغالبا ما يميل الحيدري بشحن رموزه بفلسفة قد تلمم افكاره التي يروم ان يصلها للمتلقّي؛ لأنّ الرمز "يمكن ان يوصف إما على أنه استدعاء لشيء ما يستدعي بدوره شيئاً آخر، أو على أنه تعبير مُحمّل بمعان عديدة بعضها مباشر، وبعضها الآخر غير مباشر"⁽³¹⁾، ومما لا ريب فيه ان (الشاعر الحديث عندما يعود إلى تراثه لا يعود إليه هارباً، وإنما يعود إليه تائراً ومكافحاً ليتزود

بذخائره التي لا تنفذ؛ ليتخذ منها وسائل وادوات فنية⁽³²⁾. فاعلية الرمز الديني تتوزع في شعر الحيدري فيقول في (عودة الضحية):

في أرضٍ ما آتسعتُ

إلا...

لصدى صوت الحاكم باسم الشيطان

يصيح : ... بأن لا

لا شئ سوى ظلي .. لن أبقى شيئا

إلا ظلي

وبريق السيف المسلول

ودماً مظلون،

وصدى صوتي: ثق أنى

سأعلق رأسك في باب القلعة

وسأقلع عينيك

أقص يدك

ولن اسمح أن تسكب من أجلك دمه

وسأبقى الليل الجاثم في كل دروب الضيعة

- لكني يا حجاج

وكما تعرفني

سأظل بصيصاً يتفَيِّؤُ وعداً في ضوء الشمعة

قد يصبحُ شمسا



قمرًا

نهرًا

فجرًا يبزغ من عيني مشنوقٍ في باب القلعة

فأنا أعرف أن القاتل

إذ يستجدُّ بالمقتول

يوسع في ذكراه الدنيا

خبرًا عن زمنٍ

زمنٍ يتمنى القاتل لو كان هو المقتول (33)

اعتاد الحيدري أن تكون بعض عناوين نصوصه نابعة من الواقع الانساني؛ لتكون منطلقًا ينطلق به إلى عالمه الشعري، يبدأ النص بحركات شعرية متعددة: الحركة الاولى في النص **(القاتل)** بفاعلية رمز تاريخي لصورة (الحاكم - الشيطان) الذي يصدح صوته في الأرض ولا شيء في هذه الأرض الا صوته! فكلّ الأصوات في حضرته صامته! ويصيح ويؤكد لن يبقى شيء سوى (ظليّ، بريق السيف المسلول، دمًا مطلول) وهو على ثقة من هذا الاستمرار لصدى صوته بفعل يدل على الاستمرارية (سأعلق رأسك، سأفلق عينيك في باب القلعة، أقصّ يديك، ولن أسمح ان تُسكب من أجلك دمعهُ، وسأبقى الليل الجاثم، في كل دروب الضيعة)، رموز القاتل تناثرت في النص، حتى يتم التصريح الصريح عن اسمه باستدراك ونداء (لكني يا حجاج) و(الحجاج بن يوسف الثقفي قائد اموي كان ظلوماً جباراً) (34)؛ فالشاعر استدعى هذه الشخصية التراثية التاريخية مركزاً على رمزيتها في الذهن البشري فيحاول ان يستعين بالرمز التاريخي بأن يخلق افكاراً منطلقاً من عمق



الشخصية التراثية التاريخية، ليكون الرمز بيده مادة طيعة يتحرك بها بمرونة شعرية. الحركة الثانية (المقتول) الحركة التي انطلق منها النص بفاعلية الرمز الديني بمعرفة المقتول التي تقف بالضد والنقيض امام الرمز التاريخي (القاتل) مع الحفاظ على مركزية الرمز بمدلولات ساطل (بصيصاً، يَنْفِيؤُ وعدا في ضوء الشمعة) وقد يتحقق ويصبح (شمساً، قمراً، نهراً، فجراً)، (بين عيني مشنوق)، (في باب القلعة) اللافت هنا أن النص يزخر بعناصر الطبيعة والتي هي مدلولات لاستمرار الحياة تارة، وتارة اخرى؛ لترسيخ مفهوم فلسفي معرفي وجودي انساني يقف قويا امام الآخر اللانساني الذي يتلاعب ويعبث في هذه الحياة. هناك أريد أن تكون باب القلعة (الموت) في الحركة الاولى، اما هنا يأتي الرد بأن يكون باب القلعة (فجرا) وما بين المفهومين تولد (الحياة) التي أريد لها ان تغيب! "فبالرمز يستطيع الادب تجاوز الثبات، والحد الواحد، إلى التعبير عن أوجه التناقض، او أوجه الثنائيات الجدلية التي تشمل الوجود الانساني" (35). إنَّ المتكلم في النص هو على علم ودراية بعدوانية الشخصية (أن القاتل)، (أذ يستجدُ بالمقتول)، (يوسع في ذاكرة الدنيا) هنا الشاعر يتلاعب بالمفاهيم بين الضدين (القاتل) و (المقتول) بفاعلية للرمزيتين؛ لبيان المشاعر الانسانية التي تعطي الصلابة والقوة للمبادئ التي من اجلها ضحى (المقتول) مرة، ومرة اخرى تبين الضعف الذي يتغلغل في نفس (القاتل)؛ فالشاعر يكثف الرمز لهاتين الشخصيتين المتناقضتين؛ ليعطي النص الشعري جدل وصراع متشابك ما بينهما بقوله: (خبرا عن زمنٍ مجهول)، (زمن يتمنى القاتل لو كان هو المقتول) فهنا تتداخل الحركة النصية الاولى مع الحركة النصية الثانية التي انبثقت من فاعلية الرمزيتين التي هيمنت على النص بنسقٍ وبوتيرة متصاعدة. يظلُّ "الرمز هو الصورة الحسية المتبطنة بالمعنى، والمولده له" (36). إنَّ النص الشعري قد يركز على هذا العنوان.

يتواصل النص (عودة الضحية):

- يا جِلاَدِ .. اِقْتَلْهُ .. اِقْتَلْهُ .. اِقْتَلْهُ

انثُرْ لحم سعيد بن جبير

في كلِّ دروب الضيعة

لذئاب الضيعة

لكلاب الضيعة

فأنا وحدي الموقظ في موتك مجدي

وأنا وحدي

سأضيئ دروب الحي

بعيني جِلاَدٍ أو سجان

سأمد بأرض من عمته ألقى قبر

ولألف مكان

وأنا وحدي الخارج من معنى

في زمن محكوم بزمان

وسألتف عليك طحالب صفراً كالبهتان

وسأقطع كلَّ لسان يسأل عن ابن جبير

في خطب الجمعة

- لكني يا حجاج

وكما تعرفني .. سأظل هنا .. وهناك

وفي الف مكان

وعدا .. رعدا .. غيما

مطراً تخضرُّ به النعْمى



فاعلية الرمز تنتج عنها حركة ثالثة (التضحية – الشهادة) ببناء (يا جلد، اقتله) بتكرار لفظة القتل للتأكيد على رمز الشخصية، فتتضح هوية شخصية المقتول هو (سعيد بن جبير) (كان تقياً وعالمًا بالدين فاصبح إماماً لأهل الكوفة، قُتل على يد الحجاج بن يوسف الثقفي)⁽³⁷⁾، شخصية تراثية دينية نالت من الظلم الشيء العظيم، وهذا ما نطق به النص (انثر لحمه) (لذئاب، لكلاب) الضيعه، مصاديق لتلك الشخصية (الحجاج) التي ملئت الدروب بالقتل والتغيب... الخ؛ فشخصية (سعيد بن جبير) التي وقفت بالصد من هذا الفعل (فأنا وحدي الموقظ في موتك مجدي) بتكرار لغوي يدل على ديمومة الفعل ممزوجا بفخر (أنا وحدي) الذي يقف بوجهه، (سأضيء دروب الحي، سأمد بأرضي من عتمة ألفي قبر) (ولألف مكان)، فلسفة معرفية وتحول في المعاني وتلاعب بالمفردات بتحويل الموت إلى حياة (ولادة الحياة بعد الموت) بإحياء هذه الدماء المتناثرة إلى اشراقات واضاءات بوجه الظلام؛ فاعلية الرمز للضدين الرمزيين لهاتين الشخصيتين التراثيتين التي زوّدت بمعانٍ تتماهى مع الواقع. يتواصل النص بحركة ضمير المتكلم (أنا) لترصين المعاني الرمزية؛ فالحيدري يتدخل برموزه بتوسيع المعاني وتكثيفها عندما يخترق الثابت بقوله: (في زمن محكوم بزمان)، (وسألتفُّ عليك طحالب صفراً كالبهتان) تترسخ معاني القاتل بالتمادي والتسلط على رقاب الناس (سأقطع كل لسان يسأل عن ابن جبير) فالتخصص على (ابن جبير)، (في خطب الجمعة) ليكون عنوان (ابن جبير) عنوان ورمز يهدد وجود القاتل؛ فهذه الشخصية أصبحت قوة وملاذا يلوذ بها الخائفين والضعفاء، بهذه الرموز تبين قوة الشخصية التي تهدد عروش الظالمين: (ولكنّي يا حجاج) وهم على

بقيت
مجلة كلية الفقه

DOI: <https://doi.org/10.36324/fqh.v1i40-41.9384>



مكان ارتوى من دمه اعطى نماء للأرض وكأثما اعتادت هذه الأرض على ان تعطي دماء ابنائها لمواجهة الظلم والطغيان!! في الف مكان يصبح (وعدا، رعدا، غيما، مطرا)، ينهي الحيدري النص الشعري:

وسأوقظ في موتك حنفي

وسيكبر تاريخ من جرح في كفي

من زمن مجهول

يؤسس الحيدري برمز (التضحية _ الشهادة) رسالة كونية انسانية تخترق المكان، والزمان لتشمل الانسانية كافة ولغة قد تتنجم مع مرجعية الشخصيتين ف"اللغة الشعرية تستمد طاقاتها الإيحائية وحقيقتها من تعاليها – أي من كونها تتجاوز الواقع، أو، بتعبير أدق، من كونها الواقع الذي يتجاوز الواقع. إن معناها كله هو في رفضها الزمن المباشر، هو في هذا الاستباق الموحى" (38)؛ فتعدّ (اللغة، انكتاباً، ليس هناك كتابة نتحكّم في صيرورتها كاملة. ثمة ما يأتينا من حيث لا نعلم، لأن اللغة تميل إلى القول، وإلى الكشف عما لا نرغب في قوله) (39). تظلّ فاعلية الرمز الديني في النص الشعري الحيدري يتسم بالمعاني الفكرية التي تؤسس لمفاهيم انسانية، وهذا ما يؤكد ان رموزه كانت حاضرة في تلك الشخصيات التي وظفها في نصوصه الشعرية، واذا ما لحظ رموز شخصياته سيلاحظ_ بالتأكيد_ خصائصه الذاتية التي هيمنت على توظيفها، وجعلت لكل منها لمسه خاصة في الشخصية نفسها.

التراث الأسطوري:

يعدّ التراث الأسطوري "أوثق مصادر تراثنا _ والتراث الإنساني عموماً _ صلة بالتجربة الشعرية، فالأسطورة هي الصورة الأولى للشعر" (40) و(ليس غريباً أن تشيع كلمة "الاسطورة mytyos" حولها كثيراً من الغموض وما أكثر الدراسات الحديثة التي حاولت أن تحدد معنى هذه الكلمة" (41)، ويكمن صعوبة هذا الفهم لأن "الأسطورة نظام فكري متكامل، استوعب قلق الانسان الوجودي، وتوقه الأبدى لكشف الغوامض التي يطرحها محيطه، والأحاجي التي يتحداها بها التنظيم الكوني المحكم الذي يتحرك ضمنه" (42)، فالإنسان يميل كثيراً لكلّ ما يفتح الابواب الموصوده التي تكشف خبايا واسرار هذا العالم الواسع. إنّ" الاسطورة حكاية، حكاية مقدسة، يلعب أدوارها الآلهة وأنصاف الآلهة، أحداثها ليست مصنوعة أو متخيلة، بل وقائع حصلت في الأزمنة الأولى المقدسة، أنها سجل أفعال الآلهة، تلك الأفعال التي أخرجت الكون من لجة العماء، ووطدت نظام كل شيء قائم، ووضعت صيغة أولى لكل الأمور الجارية في عالم البشر" (43)، ولاريب بأن "الاسطورة تسجيل للوعي الإنساني واللاوعي في آن معا" (44) و"قد استطاع الانسان عن طريق الأسطورة أن يرضى حاجته الروحية من جهة. وحاجته الى التوازن مع المجتمع حوله من جهة اخرى" (45)، هذا المحزون التراثي الاسطوري الهائل لم يكن غافلاً عنه الشعراء بإدخال هذا المفهوم التراثي في نصوصهم الابداعية الشعرية بما ينسجم مع رؤياهم الفكرية الفلسفية و"لقد كان التراث _ في كل العصور _ بالنسبة للشاعر هو ينبوع الدائم التفجر بأصل القيم وأنصعها وأبقاها، والأرض الصلبة التي يقف عليها ليبنى فوقها حاضره الشعري

الجديد" (46). لقد ادركوا الشعراء أهمية التراث الاسطوري على الفكر الانساني؛ فتعاملوا معه بوعي وادراك تام؛ "فالفكر الأسطوري لا يهمله أن يُعبر عن الحقيقة بطريقة مباشرة كما هو شأن الفكر الفلسفي والعلمي اللاحقين، بل إنه يسعى إلى التعبير بلغة المجاز والخيال والرمز، وإيصال رسالته إلى القلوب والمشاعر لا إلى العقول والأذهان" (47). يعدّ الحيدري من الشعراء الذين وظفوا التراث الأسطوري بآليات شعرية ميزت نصه الشعري.

فاعلية الرمز الأسطوري:

يقول الحيدري في قصيدة (ساعي البريد):

ساعي البريد

ماذا تريد ..؟

أنا عن الدنيا بمنأى بعيد

أخطأت ...

لا شك، فما من جديد

تحمله الأرض لهذا الطريد

ما كان

ما زال على عهده

يحلم

أو يد فن

أو يستعيد

ولم تزل للناس أعيادهم

ومأتم يربط عيداً بعيد

اعينهم تنبش في ذهنهم

عن عظمة أخرى لجوع جديد (48)

ينطلق النص بمفهوم متداول بين عامة الناس هو (ساعى البريد) ومهامه التي يقوم بها، لكن يتغير المفهوم لهذا الساعي بأسلوب استفهامي (ماذا تريد؟) الاستغراب هنا يخلق اجواء يسودها القلق من هذا (الساعي) المتكلم هو الذي يبعث برسائل إلى هذا الساعي: الرسالة الأولى (التشاوم) بضمير متكلم (أنا) (عن الدنيا بمنأى بعيد) الذي يؤكد خطأ المجيء وهو على علم ودراية ان لا جديد تحمله الأرض (لهذا الطريد) اشارات لزمنين الماضي والحاضر لا شيء يحمل جديد ان يصله (ما كان)، (ما زال) تحمل في طياتها الكثير الكثير عما تنتاب مشاعره من قلقٍ وصراعٍ... الخ، رسائل تحمل صورة الانسان الذي اصابه الضياع، فكلا الزمنين مستمرين على عهدهما ان لا جديد في الافق!! ليس سوى الاستمرار بأنه: (يحمل، أو، يدفن، أو يستعيد) كلمات تبين الحالات النفسية التي تسيطر على فكر المتكلم؛ فالكلمات لها من الرمزية التي تعطي تماسكا نصياً ورونقا جماليا؛ بلحاظ أن الكلمة "ليست رمزاً فارغاً" فهي تحتزن ذلك السياق المعرفي والثقافي منذ وضعها الأول ثم الدلالات الجديدة، الانزياحات والانزلاقات، الدلالات الحافة (ظلال الكلمة) إلى أن



تحدثت إلينا مشحونة بدلالات متعددة، وفي بعض الأحيان متعارضة⁽⁴⁹⁾. إنَّ صورة التشاؤم في النص أخذت تكبر بصورة واضحة بملامس حقيقية للواقع المنصهر بالحزن (ولم نزل للناس أعيادهم)، الأعياد التي لم تظهر بسبب ترابط وتلاحق (المأتم)!! الواقع الذي اعتاد على لغة واحدة هي الاحزان لتلك المأتم، صرخات انسانية تصدح بروح تشاؤمية طاغية في النص التي ظلت (أعينهم تنبش في ذهنهم) للبحث عن شيء واحد فهي مترقبه، ومتوجسه (عن عظمة أخرى لجوع جديد) فتتضح الرسالة الأولى بفاعلية رمز التشاؤم، يتواصل النص الشعري (ساعى البريد):

ولم نزل للصين من سورها

أسطورة تمحى

ودهر يعيد

ولم يزل للأرض سيزيفها

وصخرة

تجهل ماذا تريد؟

ساعى البريد

أخطأت ...

لا شك، فما من جديد

وَعُدْ مع الدرب ويا لظالما

جاء بك الدرب



وما نريد...؟

الرسالة الثانية (الجمود) في النص لا شيء يدب في هذه الحياة يدل على الحركة والاستمرار بفعل (لم تزل) الذكريات والامجاد الماضية، والأساطير طبعت في الاذهان وتعد من مفاخر الانسانية التي تدل على الحياة والعقل البشري الذي خلد نفسه بأعماله بـ(سور الصين) فلا دهر يعيده، وهنا اشارة لرمز جمود الحياة الذي عجزت عن انتاج أشياء قد تحرك الجامد؛ فالحيدري يبث معان مستعينا بالتراث؛ لينتج وشائج وعلائق في رؤياه الشعرية متماهي مع روح العصر بإحالة نصه إلى اسطورة (سيزيف) بفاعلية رمزية مستمد من شخصيتها ومغزاها الاسطوري؛ ليكون المرجعية التي يركز عليها النص بتكرار لفظي (ولم يزل) إلى هذه الارض (سيزيفها، وصخرة) وتقول الأسطورة "حكمت الآلهة على سيزيف بان يرفع صخرة بلا انقطاع الى قمة الجبل حيث تسقط الصخرة بسبب ثقلها ثانية. لقد ظنوا لسبب معقول انه ليس هناك عقاب ابشع من العمل التافه الذي لا أمل فيه" (50) بهذا الموروث الأسطوري اخذ النص يتسع بفاعلية الرمز على ان يتدرج ويتعمق إلى نقطة الكشف عن الجمود بسؤال (تجهل ماذا تريد؟) وهو استفهام ثان في النص وكلا الاستفهامين متلازمين للرسالتين فكلتيهما تدلان على الآهات والوجع الانساني، وما سؤال الصخر وجهلها ماذا تريد الا تأكيدا على هذا. التكرار ظل ملازما لا ينفك على التركيز على نقطة جوهرية هي فكرة (الخطأ والشك) لكل شيء جديد منتظر! بمفردات (وعد مع الدرب ويا طالما)، (جاء بك مع الدرب) (وما نريد..). فاعلية الرمز الأسطوري تظهر برمزين (التشاؤم) و(الجمود)؛ فكلا الرمزين قد بعثا رسائل مفتوحة وهي ليس هناك

شيء أمل يلوح بالأفق لهذا لهذا الواقع الانساني الثابت! ف"حياة البشر كأسطورة سيزيف الخالدة: مسيرة من العبث المستمر!"⁽⁵¹⁾؛ الحيدري يتعامل مع الرمز الاسطوري مستثماً ما تحمله هذه الشخصية لكل جزئية من معانيها. "ان الرمز في حد ذاته ليس مهماً، بل المهم هو ما تجمع حوله من الأفكار التي تعطي له مغزى. والرمز بطبيعتها هي بؤرة التأملات الخيالية أو العواطف"⁽⁵²⁾ و"كان استلهاً الاسطورة واحتواؤها مضامين جديدة، يثري العمل الادبي، ويضفي عليه دماً جديداً، ويعكس النظرة الانسانية بكل تناقضاتها الحادة، وصولاً إلى عالم يفجره الاستلهاً"⁽⁵³⁾؛ فالشاعر بما يمتلك من موهبة شعرية وظف هذه الأساطير بما تحمله من رموز اضفت على نتاجه الشعري صور جمالية ولغة تلامس النفوس؛ ومازالت (الرموز الاسطورية غامضة من حيث الشكل والمحتوى لم يتذوقها المتلقي إلا بعد التداول الكثير الذي حفّز القارئ على معرفة هذا الحقل الجديد وفتح منافذه المستغلقة، وكذلك فتح افاق جديدة للخيال الشعري)⁽⁵⁴⁾ ؛ لأنّ الشاعر "لا تعنيه الأسطورة الا بقدر ما يتخذ من موقفها العام رمزا لموقف عصري يشبهه نوعاً من المشابهة، وهي لا يمكن أن تنهض بهذه الغاية الا اذا أصبحت لبنة عضوية في بناء القصيدة الحي"⁽⁵⁵⁾. أمن الحيدري ان الرموز التراثية الأسطورية تمتلك طاقه استيعابية معرفية تعينه للإفصاح عما تكمنه نفسه الشاعرة.

(اعْتِدَار)

قصيدة يقول فيها الحيدري:

معذرةً

ضيوفاً الأسيادُ

معذرةً يا أنتم الآتونَ من أقاصي البلادُ

قد كذب المذيعُ في نشرتهِ الأخيرهُ

فليس في بغدادُ

بحرٌ

ولا درٌ ... ولا جزيرهُ

وكلّ ما قال به السندبادُ

عن ملكات الجانُ

عن جزر الياقوت والمرجانُ

عن أنهر تحمل في أحلامها

موانئاً

مرفئاً

خرافةً من نسيج قبض الصيف

في مدينتي الصّغير

كان لنا فيها

البحر والأصداف واللآلئ البيضاءُ

حتى البعثُ والميلادُ. (56)

يستعين الحيدري في نص (اعْتِدَار) بخطاب واسلوب فيه من الاحترام



والتقدير إلى الآخر (ضيوفا الأسياد)، (يا أنتم الآتون من أقاصي البلاد) ثم يظهر اعتذار لهؤلاء الأسياد كأنه يريد أن يبرأ نفسه امامهم ويتضح السبب جلياً (قد كذب المذيع في نشرته الأخيرة) المركز الذي انطلق منه النص هو رمز المذيع بنقل (الاخبار) برمز أول (الاخبار الكاذبة) التي اوهمت هؤلاء الأسياد أن يأتوا إلى هذا البلد، وانه في خبره الأخير قد (كذب)، فيبدو انها صفة لم يعتاد عليها هذا (المذيع)؟ يأتي النفي (فليس في بغداد) لا (بحر)، در، جزيرة) اقاويل واكاذيب لهذا الخبر، هنا يصرح عن هوية المذيع (كل ما قال به السندباد) احال الحيدري نصه إلى التراث الأسطوري لمرجع ومركزية الشخصية التراثية (السندباد) بنقل الأخبار؛ فالسندباد شخصية اسطورية (من شخصيات الف ليلة وليلة وهو بحار من بغداد يهوى الابحار والمغامرات وتحكي قصصه)⁽⁵⁷⁾ تحولات في عمق مركزية الشخصية الأسطورية هو عدم صدقها بنقل الاخبار والاحداث؟؟ فاعلية الرمز الأسطوري التراثي تنطلق من التحول للنقطة المركزية لشخصية السندباد هي نقطة الأخبار الكاذبة فليس هناك: (ملكان الجان، عن جزر الياقوت، المرجان، عن أنهر تحمل في أحلامها، مؤانثاً، مرافئاً) كلها أخبار كاذبة بل (خرافة) ظلّ التسارع النصي للرمز بتكثيف المعاني التي امتزجت وتلاصقت بالشخصية الأسطورية، ثم النص يسترجع بفعل ماض يكشف البعد النفسي الذي سيطر على الانسان (كان لنا فيها)، (البحر، الأصداف، اللآلئ البيضاء)، (حتى البعث والميلاد)، فكرة فلسفية هي (الولادة بعد الموت) صورة شعرية توضح الواقع الانساني. إن اختيار الرمز في تشكيل الصورة الشعرية لا ينفصل عادة عن سائر أفكار القصيدة، وانما تظل أصدائه تتجاوب في أنحاء القصيدة، مؤكدة لشيء ما، فليس اختيار الرمز اذن تعسفياً أو اعتباطياً وانما تدعو اليه ضرورة نفسية⁽⁵⁸⁾.

يتواصل النص الشعري (اغْتَدَار):

معذرة

فليس في بغدادَ غير سورها القديم

غير صمتها الدميم.

غير غربة النجوم في

صمت لياليها

وما بقي لحالم فيها

من جنة فارغة ... ضريره

من كذبة المذيع في نشرته الأخيرة

ودودة تحلم أن تعيش في عيوننا المقبورة.

فنحن يا لآتون من أقاص البلاد

ونحن يا ضيوفنا الأسياد

نكذب كي نولد من جديد

نكذب كي تظل في تاريخنا المديد

حكاية نلوكها في كتب صفراء عن ..

عن مجدنا التليد

عن مجدنا المجيد.

خرافة قال بها السندباد.

كان لنا فيها

البحر والأصداف واللالئ البيضاء

والموت الذي يجيئ كالميلاد.



فاعلية الرمز الأسطوري تتحرك دائرياً بتكرار بمفردة (الاعتذار) برمز ثان (الأخبار الصادقة) لتكون الضدية التي تقابل الرمز الأول (الأخبار الكاذبة) بنفي قد يمحو عن الشخصية صفت الكذب بالغوص في رسم الملامح المكانية التي تؤكد صدق قوله: (فليس في بغداد) غير (سورها القديم، صمتها الدميم، غربة النجوم، صمت لياليتها) بل زاد على ذلك ما بقى شيء يحلم بها حالم! الرمز الشعرية اخذ ينتج علائق فكرية منطلقاً من المورث الاسطوري والتماهي مع روح العصر؛ فالشاعر يعمد إلى تأسيس فكرة تتشكل تدريجياً وبوتيرة متصاعدة بنقل الأخبار عن تلك المدينة بروح قد اشتكت وعانت لدرجة اليأس الذي أصبح يخيم على الارواح قبل الاجساد! (ودودة تحلم أن تعيش في عيوننا المقبورة) أي عيون تلك التي ترنو إليها هذه الديدان أن تعيش عليها؟ اي فزع لهذه الأرواح التي تحملها اجسام هامة، كل شيء اصابة السكون لا شيء يدب في هذه المدينة! عيون ترنو إلى الموت، وكأنما عاشت فقط لتموت؟ فالنص بمثابة المرآة العاكسة لهذه النفوس. إنَّ الشاعر (حاول ان يستلهم من النبض الوجداني الحميم الذي احتوته الاسطورة، مادة يعالج بها الواقع الذي يكتنفه التناقض، وتتسع ثغرات الخراب)⁽⁵⁹⁾. تتحول لغة الخطاب من مخاطب (أنتم) في الرمز الأول إلى ضمير متكلم (نحن) (يا لآتون من أقاصي البلاد)، (يا ضيوفنا الأسياد) يخبرهم عن احوالهم وواقعهم أنهم يكذبون لكي يولدون من جديد؟ أي ولادة تتحقق بالكذب؟ يكذبون (كي تظل في تاريخنا المديد) كلُّها اكاذيب لكي يوهم انفسهم ويخدرون عقولهم حتى يعيشوا في هذه الأرض؟ انها (حكاية نلوكها في كتب صفراء) عن مجدنا (التليد، المجيد). الرمز يستمر بحركته الدائرية حول الشخصية الأسطورية (خرافة

قال بها السندباد) الرجوع إلى الماضي الذي تتوق لها النفس البشرية بمدلولات

مجلة كلية الفقه

(البحر، الأصداف، اللآلئ البيضاء) انها خرافة يجب أن تكون طي النسيان! (الموت الذي يجيء كالميلاد) ولادة منتظرة لهذه النفوس التي اصابها الفزع من هذا الواقع الذي غيَّبه! "فكانت فكرة الحياة في الموت هي المنتصرة أخيراً"⁽⁶⁰⁾، و"من هنا كانت دورة الحياة والموت والبعث هي الفكرة المركزية في الدين والاسطورة، والفكرة الاساسية التي يتمركز حولها لا شعور الفرد في الماضي والحاضر"⁽⁶¹⁾. يصل النص الشعري (اعتذار) إلى نهايته:

معذرةً

معذرة يا أنتم الآتون من أقاصي البلاد

معذرة ضيوفنا الأسياد

فليس في بغداد

بحرٌ ولا درٌّ ولا جزيرة

وليس غير ظلنا ما يحجب الشمس

عن المدينة الصغيرة

وليس غير ذلنا الغارق في السواد

في كذبة كبيرة

كالبحر .. كالدرّ وكالبعث وكالميلاد

في كذبة كبيرة كان اسمها بغداد.

تكتمل صورة الرمزين السابقين بانبثاق (صورة الواقع) باستمرار الحركة الدائرية لنقطة مركزية هو التسليط الضوء على الواقع، التكرار واللاحاح على الاعتذار ببناء وخاطب (يا أنتم الآتون من أقاصي البلاد)، (ضيوفنا الاسياد)، ليس في بغداد (بحرٌ، درٌّ، جزيرة) تكرر اعطى تماسكا

صليبا وصورة شعرية متكاملة بفاعلية الرمز الأسطوري للشخصية المستدعا

ورمز (الأخبار) التي تتوالى وتتناقل عبر ضمير المتكلم (ليس غير ظلنا ما يحجب الشَّمْسَ) ملامح مكانية باتت غائبة (عن المدينة الصَّغيرة)، بل زاد سوء عندما عرج عن الانسان الذي أصبح محبباً مغيباً بفعل (الذل، السواد) فالرمز ظلّ ينحى منحى سوداوي عندما كشف عن الجزئيات الواقعية لتلك المدينة، اخبار تؤكد كذب الخبر الذي تناقله السندباد!؛ فلا يوجد مصداق واحد يؤكد صدق اخباره وعن رؤياه (كالبجر، كالدّر، كالبعث، كالميلاد) حتى يصطرخ بروح يمزجها الشك (في كذبة كبيرة كان اسمها بغداد)، جعل الحيدري من هذا الرمز الاسطوري (الأخبار) فكراً ينفث منه إلى عالمه الشعري وهو يدرك قيمة الرمز الذي تتمحور حوله هذه الاسطورة بما تحمله من مخزون في الفكري الانساني، ولعلّ أهمية الرمز (هو ما تتيحه للشاعر من إمكانات للتعبير، تمكنه من الإفضاء بما يتوقد في أعماقه من رؤى، تكونت نتيجة معاناةٍ طويلة وإدراك عميق لظروف العصر الذي يعيش فيه، ويتابع صورته المتناثرة المؤثرة) (62) و "أنّه بتوسّط الرمز يحدث النمو في الذات، مدركة الرمز ومُوجِدَتِه. ونحن نُكشِف للحقيقة والحقيقة تكشف لنا. وهناك ضرب من الاعتماد المتبادل: فنحن نعتد على الرمز، بينما يعتمد الرمز على إيجادنا أو إدراكنا إيّاه. ونحن نؤمن برمزية الرمز، ونجد أنفسنا قد أثريت به" (63). يظلّ الرمز الأسطوري له مكانته في الدراسات الشعرية والأدبية لما يمتلك من مقومات تواكب روح العصر. وتعدّ "الاسطورة، علامة ومدلول وإشارة، مبنوثة في سياق النص الشعري" (64)، ف"الشاعر مثل المستكشف، عادة ما يتوغل، ويخرج خارج الطريق المعروف اذا ما أراد ان ينجز شيئاً ما" (65) كل هذه الصفات تتوفر في النصوص الشعريّة الحيه التي تظلّ مستمرة باستمرار الانسان ف"حين لا يمسُّ الكلامُ نفس الإنسان،

لا شيء يَحْدُثُ. ما يعني أنَّ الصيرورة لا تَحْدُثُ، ولا تَنْتَمُ، وتبقى واقفةً في نفس مكانها"⁽⁶⁶⁾. ومما يمكن الإشارة إليه أن الذي "يميزُ شعر بلند الحيدري عن شعر معاصريه هو أن قصائده تنفذ إلى صميم فكر القارئ حيث تثبت جذورها لتثمر ثماراتها بعد حين. إنها قصائد صادقة، بعيدة عن المبالغة وعن الشُّعور المصطنع، جمالها الشُّعري عميق وذو أثر بعيد"⁽⁶⁷⁾، وبهذا الشعور المرهف يظلّ النص الحيدري يضحج بالمعاني الفكرية، والفلسفية الانسانية الممزوجة بالرموز التراثية.

الخاتمة

- يمتلك الرمز احياءات و اشارات تعطي اللغة الشعرية مرونة وحركية التي تفتح النص لقراءات متعددة.

- يعدّ الحيدري رائداً من رواد الشعر الحر العراقي الذي اضى على النص الشعري العربي الحديث رونقا جماليا معتمدا على موهبته وثقافته الشعرية.

- التراث الديني يرتكز على (فاعلية الرمز الديني) المستمد من السيد المسيح(ع) برمز (الصلب)؛ ليرسخ مفهوم (الفداء والتضحية) للإنسانية جمعاء، ورمز اخر هو (التضحية - الشهادة) المستمدة ايضا من التراث الديني لشخصية (سعيد بن جبير) برمز قد يتفاعل مع الرمز الأولى؛ فكوّنت هذه الرموز رؤية انسانية حركت نصوصه الشعرية.

- يرتكز التراث الأسطوري (بفاعلية الرمز الأسطوري) حول رمزيتين تراثيتين هما الشخصية الأسطورية (سيزيف) برمز الجمود، وكذلك الشخصية الأسطورية الأخرى السندباد برمز (الأخبار)، فكلتا الشخصيتين مثلت حالة

التشاؤم التي سادت الواقع.

- يظلّ الحيدري ونصه الشعري بصمة من بصمات الشعر العربي الحديث؛ لما يمتلك من مقومات ابداعية التي من خلالها استطاع ان يخلق بدائل فكرية اعطت نصه الشعري الديمومه، والاستمرارية، ولقد تحمل الحيدري من المشقة لقاء إبداعه وكان بمقدوره أن يسير مع الثابت الشعري غير أنه أحس بفراغ حاول أن يملئه بشعر يفى مشاعره حقها بعيداً عن التقليد، وفي هذه المحاولة ركام من الشعور لم تظهره نصوصه فحسب، إنما إرادته التغيير تلك التي أقبرت في خوالج من سبقه خوفاً من استفزاز التقليد.

* هوامش البحث *

- (1) الرمزية والتأويل، ص16.
- (2) نظريات في الرمز، ص324.
- (3) الرمز والرمزية ، ص35.
- (4) المصدر نفسه، ص42.
- (5) الروح في الإنسان والفن والأدب، ص106.
- (6) النقد الأدبي الحديث، ص43.
- (7) جبران والحداثة، ص204.
- (8) ينظر: الإنسان .. اللغة.. الرمز (التطور المشترك للغة والمخ)، ص27.
- (9) ينظر: مغامرة العقل الاولى (دراسة في الاسطورة- سوريا وبلاد الرافدين)، ص14.
- (10) فاعلية الحسين عليه السلام رمزاً في شعر أدونيس والماغوط، ص308.
- (11) زمن الشعر، ص269.
- (12) المصدر نفسه، ص269.
- (13) الرمز والقناع في الشعر العربي الحديث، ص51.

- (14) ينظر: رَوَاد الشَّعْر الحَرِّ في العراق، ص 97.
- (15) المصدر نفسه، ص 98.
- (16) ديوان الشَّعْر العربي المُعاصر ، ص 189.
- (17) المصدر نفسه، ص 387-388.
- (18) المصدر نفسه، ص 669.
- (19) سايكولوجية الشعر ومقالات اخرى، ص 11.
- (20) رامبو (حياته وشعره)، ص 5.
- (21) النَّصَّ القرآني وأفاق الكتابة، ص 189.
- (22) في الشعر العربي الحديث، ص 382.
- (23) المصدر نفسه، ص 382.
- (24) الأسطورة والتراث، ص 21.
- (25) في الشعر العراقي الجديد، ص 30.
- (26) استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، ص 75.
- (27) ينظر: ديوان الشَّعْر العربي المُعاصر، ص 313-315.
- (28) من الصورة الى الفضاء الشعري العلائق، الذاكرة، المعجم والدليل (قراءات بنيوية)، ص 43.
- (29) استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، ص 82.
- (30) الرَّمز الصَّوْفِي (بين الإغراب بداهة والإغراب قصداً)، ص 19.
- (31) الرمزيَّة والتَّأويل، ص 70.
- (32) ينظر: الرمز والقناع في الشعر العربي الحديث، ص 144-145 .
- (33) ينظر: ديوان الشَّعْر العربي المُعاصر، ص 761-764.
- (34) ينظر: سيرة اعلام النُّبلاء، ص 343.
- (35) الترميز (في شعر عبد الوهاب البيَّاتي)، ص 27.
- (36) قصيدة القِنَاع في الشَّعْر العربيِّ المُعاصر (تحليلُ الظَّاهرة)، ص 231.
- (37) ينظر: سيرة اعلام النُّبلاء، ص 321-342.

- (38) زمن الشعر، ص 211.
- (39) ينظر: الشعر وأفق الكتابة، ص 124.
- (40) استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، ص 174.
- (41) الشعر العربي المعاصر (قضاياها وظواهره الفنية والمعنوية)، ص 223.
- (42) مغامرة العقل الاولي، ص 15.
- (43) المصدر نفسه، ص 15.
- (44) الأسطورة والتراث، ص 25.
- (45) الشعر العربي المعاصر (قضاياها وظواهره الفنية والمعنوية)، ص 229.
- (46) استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، ص 7.
- (47) لغز عشتار (الألوهة المؤنثة وأصل الدين والأسطورة)، ص 27.
- (48) ينظر: ديوان الشعر العربي المعاصر، ص 212-215.
- (49) سرديات النقد (في تحليل آليات الخطاب النقدي المعاصر)، ص 33.
- (50) أسطورة سيزيف، ص 138.
- (51) موت الإنسان (في الخطاب الفلسفي المعاصر) هيدجر، ص 177.
- (52) الرمز والأسطورة (في مصر القديمة)، ص 213.
- (53) الأسطورة في شعر السيّاب، ص 22.
- (54) ينظر: الأسطورة في شعر أدونيس، ص 104-105.
- (55) الرمز والرمزية، ص 319.
- (56) ينظر: ديوان الشعر العربي المعاصر، ص 779-782.
- (57) ينظر: قصص من ألف ليلة السندباد البحري، ص 17-22.
- (58) الشعر العربي المعاصر (قضاياها وظواهر الفنية والمعنوية)، ص 140.
- (59) ينظر: الأسطورة في شعر السيّاب، ص 187.
- (60) المصدر نفسه، ص 175.
- (61) مغامرة العقل الاولي، ص 219.
- (62) ينظر: الرمز والقناع في الشعر العربي الحديث، ص 92-93.

- (63) الخيال الرمزي، كولريديج والتقليد الرومانسي (ج. روبرت بارت، اليسوعي)، ص27.
- (64) الشعر والأسطورة، ص247.
- (65) مقدمة في الشعر، ص20-21.
- (66) الشعر وأفق الكتابة، ص29.
- (67) ديوان الشعر العربي المعاصر، ص190.

* المصادر والمراجع *

- استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، الدكتور: علي عشري زايد، القاهرة: دار الفكر العربي، لا ط، 1997.
- الإنسان .. اللغة.. الرمز (التطور المشترك للغة والمخ)، تيرنس دبليو. ديكون، ترجمة: شوقي جلال، المركز القومي للترجمة، ط2014، 1.
- الأسطورة في شعر السيّاب، عبد الرضا علي، العراق: منشورات وزارة الثقافة والفنون، لا ط، 1978.
- الأسطورة في شعر أدونيس، د. رجاء أبو علي، دمشق: دار التكوين، ط1، 2009.
- الأسطورة والتراث، سيّد القمني، القاهرة: المركز المصري لبحوث الحضارة، ط3، 1999.
- الترميز (في شعر عبد الوهاب البيّاتي)، د. حسن الخاقاني، بغداد: من إصدارات مشروع بغداد عاصمة الثقافة العربية، ط1، 2013.
- الخيال الرمزي، كولريديج والتقليد الرومانسي (ج. روبرت بارت، اليسوعي)، ترجمة: د. عيسى علي العاكوب، مراجعة: خليفة عيسى الغرابي، بيروت: معهد الانماء العربي، لا ط، 1992.
- الرّمز الصّوفي (بين الإغراب بداهة والإغراب قصداً)، أسماء خوالديّة، الرباط: دار الامان، ط1، 2014، ص19.

- الرّمز والأسطورة (في مصر القديمة)، رندل كلارك، ترجمة: أحمد صليحة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، لا ط، 1988.
- الرمز والرمزية في الشعر المعاصر، دكتور محمد فتوح أحمد، مصر: دار المعارف، لا ط، 1997.
- الرمز والقناع في الشعر العربي الحديث (السياب ونازك الملائكة والبياتي)، محمد علي كندي، بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، 2003.
- الرمزيّة والتأويل، تزفيتان تودوروف، ترجمة وتقديم: د.إسماعيل الكفري، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، 2017.
- الروح في الإنسان والفن والأدب، كارل غوستاف يونغ، ترجمة: سلام خيربك، سوريا: دار الحوار للنشر والتوزيع، ط1، 2014.
- الشعر العربي المعاصر (قضاياها وظواهره الفنية والمعنوية)، د. عز الدين اسماعيل، دار الفكر العربي، ط3، لا سنة.
- الشعر والأسطورة، موسى زناد سهيل، بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، ط1، 2008.
- الشعر وأفق الكتابة، صلاح بوسريف، الرباط: دار الأمان، ط1، 2014.
- النّصّ القرآني وأفاق الكتابة، أدونيس، بيروت: دار الآداب، ط2، 2010.
- النقد الأدبيّ الحديث، الدكتور محمد غنيمي هلال، بيروت: دار العودة، لا ط، 1987.
- أسطورة سيزيف، البيركامو، نقله إلى العربية: أنيس زكي حسن، بيروت: منشورات دار مكتبة الحياة، لا ط، 1983.
- جبران والحداثة، راضي سالم علّوش، بيروت: دار المحجة البيضاء، ط1، 2012.
- ديوان الشّعر العربي المُعاصر (الأعمال الكاملة للشاعر)، بلّند الحيدري، الكويت: دار سعاد الصباح، ط1، 1992.
- رامبو (حياته وشعره)، ترجمة: خليل الخوري، بغداد: منشورات مكتبة التحرير، ط3، 1985.
- رواد الشّعر الحرّ في العراق، سلمان هادي آل طعمة، بيروت: دار البلاغة، ط1، 2002، ص97.

- زمن الشعر، أدونيس، بيروت: دار الساقى، ط6، 2005.
- سايكولوجية الشعر ومقالات اخرى، نازك الملائكة، بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، لا ط، 1993.
- سرديات النقد (في تحليل آليات الخطاب النقدي المعاصر)، الرباط: دار الأمان، ط1، 2011.
- سيرة اعلام النبلاء، تصنيف الامام شمس الدين أحمد بن عثمان الدهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ومأمون الصاغر جي، ج4، ط2، 1982.
- فاعلية الحسين عليه السلام رمزاً في شعر أدونيس والماغوط، م. أنفال جاسم محمد، مجلة الكلية الاسلامية الجامعة، العدد 42 ، ج 2 ، 2017.
- في الشعر العراقي الجديد، طراد الكبيسي، بيروت: منشورات المكتبة العصرية، لا ط، لا سنة.
- في الشعر العربي الحديث، د. أحمد مطلوب، بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، ط1 ، 2002.
- قصص من ألف ليلة السندباد البحري، كامل كيلاني، ط26، دار المعارف، 1991.
- قصيدة القناع في الشعر العربي المعاصر (تحليل الظاهرة)، عبد الرحمن بسيسو، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 1999.
- لغز عشنتار (الألوهة المؤنثة وأصل الدين والأسطورة)، فراس السواح، دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر، ط5، 2017.
- مغامرة العقل الاولى (دراسة في الاسطورة- سوريا وبلاد الرافدين)، بيروت: دار الكلمة، ط4، 1985.
- مقدمة في الشعر، جاكوب كرج، ترجمة: رياض عبد الواحد، بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، ط2004، 1.
- من الصورة الى الفضاء الشعري العلائق، الذاكرة، المعجم والدليل (قراءات بنويوية)، د. ديزيره سقال، دار الفكر اللبناني، ط1، 1993.

- موث الإنسان (في الخطاب الفلسفي المعاصر) هيدجر، ليقى سنتروس، ميشل فوكو، د. عبد الرزاق الدواي، بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر، ط1، 1992.
- نظريات في الرمز، تزفيتان تودوروف، ترجمة: محمد الزكراوي، المنظمة العربية للترجمة، ط1، 2012.

